مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد :٣٦ ، العدد: ١ ، السنة : ٢٠١١ ، ص ٣٢٧-٣٣٩

نيتشه والميثولوجيا اليونانية

م – سنا صباح آل خالد

جامعة البصرة– كلية الاداب – قسم الفلسفة

الخلاصة

يسعى البحث لتقديم نبذة مختصرة عن موقف نيتشة من الاسطورة .لأهميته بوصفه واحداً من الفلاسفة الذين اولوا اهتماما كبيرا للاسطورة، لما توفره من أمكانات ، أغرته لاستخدامها ،كوسيلة للتعبير عن مواقفه الفكرية .

كذلك يتحرى البحث الوقوف على اهمية الاسطورة ، كونها المرأة التي تعكس عافية الشعب ووظيفتها والاسباب التي وقفت خلف موتها ،سقراط ويوربيدوس.ومن ثم يمكن القول انه استعار من الاسطورة على سبيل المثال أسمين لا الحصر من اسماء آلهة الميثولوجيا اليونانية ، هما ديونسيوس وأبولو ،وصاغ منظوره لحركة الفن والوجود من خلالهما .

نيتشه والميثولوجيا اليونانية

يعد نيتشه واحداً من الفلاسفة الذين اولوا اهتماما كبيرا للحضارة الاغريقية ،وخصوصاً لعصر المأساة ، ويبدو ان تخصصه في الفيلولوجية ساهم بأطلاعه على الأدب الاغريقي والشغف به ،والذي تجلى في تقديمه قراءة جديدة عنه ، في كتابه (مولد المأساة من روح الموسيقى) ، ولفلاسفة تلك الحقبة في كتابه (الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي) . وكان له من الأسطورة موقفاً واضحاً ، ظهر في أعماله من خلال سعيه لاحيائها ،وأبرازها كدليل صحة للمجتمع الذي ظهرت به وكذلك في اختياره بعض رموزها للتعبير عن افكاره.

وقد ازداد الاهتمام بالأسطورة خلال القرن العشرين ،وبدا الاعتماد عليها واضحاً في أعمال بعض الفلاسفة ، فأستخدمها كامو في (أسطورة سيزيف) (الحجر الذي ينبت) وسارتر في مسرحية (الذباب) ، وهيدغر في كتابه (الوجود والزمان) عندما تحدث عن هم الزمان وغيرهم من الفلاسفة . فالأمكانات التي توفرها الاسطورة ، اغرت الفلاسفة لأستخدامها ، كوسيلة للتعبير عن مواقفهم الفكرية وكان نيتشه من الفلاسفة الذين استخدموها للتعبير عن أفكارهم ، فكيف ينظر نيتشه للأسطورة ؟ وما أهميتها ؟ وكيف ماتت الأسطورة ؟

الميثولوجيا Mythology :

علم الأساطير ، مصطلح يستخدم بطريقتين متميزتين ، الأولى دراسة الأسطورة ، والثانية تمدنا بمجموعة الأساطير والتقاليد الدينية [١] وقواعد السلوك عند جماعة اجتماعية أو دينية وتصورهم للوجود ، أو يمكن القول هو العلم الذي يبحث عن الأساطير وفي الأساطير .

اما مصطلح الأسطورة فأصله يوناني (mythos) Myth وتشير الكلمة بشكل نهائي الى الشيء المنطوق [٢] وهي قصة مجهولة الأصل ، تنقل على الأقل التقاليد والتي هي ظاهرياً لها علاقة بأحداث تاريخية ، كشخصيات تستخدم لتبيان بعض المعتقدات او الأعراف او الظواهر الطبيعية وبالأخص التي لها علاقة بالمعتقدات والطقوس الدينية [٣] .

اما نيتشه فقد وصف الميثولوجيا في أكثر من مكان بأنها " أداة الحكمة الديونسية " [٤] وكذلك الأسطورة وصفها بأنها هي التي تتحدث بصورة رمزية عن حكمة ديونسيوس [٥] أو أنها تعبر عن الطاقة الديونسية لأي شعب [٦] وأن ما تريد الرواية الأسطورية ان تهمسه في آذاننا هو الحكمة الديونيسية خاصة ، ولكن من هو ديونيسيوس ؟ وما هي حكمته ؟

قبل الإجابة عن السؤالين ، لا بد من الإشارة الى ان نيتشه اتبع طريقة بعض فلاسفة اليونان في فهم الوجود ، بوصفه ظاهرة جمالية على سبيل المثال لا الحصر (هرقليطس)، وقد رأى نيتشه ان أصول

الفن ومنابع الخلق الإنساني انما توجد في المظهر المزدوج للطبيعة الإنسانية مظهري الحلم " Dream " السكر [*]" Intoxication " ونتيجة لذلك أصبح الوجود عنده يفهم بالاستناد الى المصطلح الجمالي الاستطيقي ، ولقد تأثر بهذه النظرية الجمالية الى الوجود والطبيعة الانسانية اتباع الفلسفة الوجودية المعاصرون الذين رأوا في الفن طريقاً للكشف عن حقيقة الوجود والكائنات [٧] .

وقد استعار نيتشه أسمين من اسماء آلهة الميثولوجيا اليونانية ، واستخدمها كرمزين للظاهرة الجمالية هما ديونسيوس وأبولو . فأبولو رمز غريزة فن التشكل ، وهو آله الوضوح والنور والقياس والشكل والتأليف والمتناسق . أما ديونيسيوس فهو على العكس آله الفوضى المفرطة واللاشكل وتيار الحياة الصاخب [٨] .

كذلك في كتابه افول الاصنام يقدم نيتشه معنى المفهوم الثنائي القطب الذي أدخله في علم الجمال وهو : " مفهوم الأبولوني والديونيسيوسي (يعبر المصطلحان عن شكلين من النشوة) – النشوة الابولونية تهيج بشكل خاص العين التي تتلقى منها قوة الرؤية : الرسام النحات والشاعر الملحمي هم رائون بامتياز . في الحالة الديونيسية على العكس ، فان مجموع الحساسية هو الذي يثار ويهيج الى درجة أنه يفرغ وسائل تعبيره دفعة واحدة وفي الوقت ذاته يكثف قوته في التمثيل ، في المحاكاة ، في تغيير الملامح ، في التحول ، يكثف ، كل أشكال فن المومئ والكوميدي " [٩] .

كذلك تناول نيتشه في الفقرة الأولى من " مولد المأساة " الحديث عن الاتجاه الابولوني ونقيضه الديونيسيوسي ، وكان اختيارهما قائم على أساس التعارض بين الألهين ، والذي يظهر بوضوح بين الفن الابولي في النحت وبين فن الموسيقى الديونيسي اللابصري . ومن أجل فهم أفضل لهاتين النزعتين ، يقدمها نيتشه كعالمين مستقلين أو كحالتين فزيولوجيتين مختلفتين هما (الحلم)و (السكر) .

أولهما العالم الابولي والذي يمثله ب(الحلم) فأن أول ظهور للاشكال البديعة للآلهة أمام النفس البشرية ، كان في ما يراه النائم في الحلم ، ففي الحلم رأى المثال (النحات) العظيم لأول مرة الأجسام الجميلة للكائنات العلوية . وأن الوهم الجميل في عوالم الحلم ، الذي متى ما ولد يجعل من كل انسان فناناً كاملاً هو الشرط الذي يبرر وجود الفنون البصرية بأنواعها ، نحن نشعر بالسعادة في خوفنا المباشر من الشكل ، إذ أن كل الأشكال تخاطبنا ، ولا شيء يقف محايداً أو يكون زائداً عن الحاجة ، كما أنه يمكن وصف ابولو باعتباره صورة إلهية رائعة لمفهوم الفردانية .

ثانيها العالم الديونيسي الذي يمكن ان نستنتجه مباشرة من مناظرته مع حالة السكر (الخدر) فتحت تأثير الجرعة المخدرة التي كان يتناولها الرجال في المجتمعات البدائية أو مع المجيء القوي للربيع الذي يخترق بمرحه الطبيعة كلها ، تتنبه هذه الدوافع الديونيسية . وما أن تزداد قوة حتى تصبح النزعة الذاتية نسياناً للذات [١٠] .وهنا يصبح ابولو تجسيدا لمفهوم الفردانية اما ديونيسيوس تجسيدا لانعدام التفرد . ولكن تبقى الشخصية المحورية في كل كتابات نيتشة هو ديونيسيوس ،و في كتاباته الاخيرة كان يصف

نفسة بديونيسيوس وكذلك اتخذ من اسم ديونيسيوس أمضاء لخطاباته الاخيرة ، ولذلك فأن التوقف عند ديونسيوس مسألة ضرورية للوعي بفلسفة نيتشة عموما والميثولوجيا خصوصا ، وبالتالي لابد من التوقف للتسأل عن ديونيسيوس وحكمته؟

أولاً – من هو ديونيسيوس ؟

ديونيسيوس: هو إله الموسيقى والخمر عند الإغريق ،كذلك يعرف باخوس عند الرومان وقد قامت عليه الفكرة الاساسية في "مولد المأساة" فقد استخدمه كرمز ليشير الى الناحية السيكولوجية في الجمال[١١]. كانت ولادته غريبة ، وكانت حياته بائسة ، فهو ابن للإله (زيوس) و(سيميلي) التي كانت أميرة ثيبية ، فغارت زوجة زيوس (هيرا) منها ، واشارت عليها ان كان حقاً هو (زيوس) فعليه ان يظهر امامها بكامل عظمته وجبروته ، وبما أن (زيوس) لم يرد لحبيبته طلبا ، فظهر امامها بكامل عظمته ،فلم تتحمل وهج حبيبها الإلهي فأحترقت ، وسارع (زيوس) باخراج الجنين وزرعه في فخذه لحين موعد ولادته[١٢] ويبدو أن ولادة ديونيسيوس مليئة بالالم والمعاناة ، أي مأساوية في كثير من جوانبها ،وكذلك حياته ،وهي من ثم توضح علاقة الاغريق بالالم ،وكيف ينظرون ويتعاملون معه ،وهو ما تنقله الميثولوجيا اليونانية.

ويبدو ان نيتشه اختاره للتعبير عن أغريق عصر المأساة ، فبالرغم من ادراكهم لعذابات الوجود الا انهم في الوقت ذاته ممتلئين بالحيوية والطاقة ،وقد وصفه نيتشة بقوله : " هذا البطل ديونيسيوس المعذب صاحب الأسرار ، وديونيسوس الإله الذي يعاني هو نفسه عذابات فردية ، والذي تحكي الأساطير ان العمالقة مزقوه ، وأنه ، في هذه الحال ، أصبح مقدساً مثل " زاغروس " . أن ذلك يشير الى عملية التمزيق ، العذاب الديونيسيوسي ، تصل الى حد التحول الى هواء ، ماء ، أرض ، نار ، وإن علينا ان نعتبر شرط الفردنة (الشخصنة) كمصدر وأصل لكل أنواع العذاب ، وبالتالي كأمر يمكن استيعابه " [١٣] .ومن ثم فأن الانسان الديونيسيوسي هو أغنى واكثر الناس حيوية .[١٤]

ثانياً – ما هي الحكمة الديونسية ؟

أن " انتهاك المقدس " هي الحكمة الديونيسيوسية ،كما يقول نيتشه: " ان ما تريد الرواية الأسطورية ان تهمسه في آذاننا هو ان الحكمة ، الحكمة الديونيسية خاصة ، جريمة منكرة ضد الطبيعة ، وأن كل ما يرمي بالطبيعة من خلال عمله المعرفي الى الهاوية ليهلكها يجب ان يعاني نتيجة إتلافه الطبيعة . وبهذا " يُرمي صاحب الحكمة بسهم حكمته ، أن الحكمة جريمة بحق الطبيعة " . هذه العبارة المخيفة تقول ان الأسطورة تدعونا اليها " [١٥] وقد تتبع نيتشه هذه الفكرة في أسطورة أوديب وبرميثيوس ، وكذلك عنده مقارنة الأسطورة الارية والسامية .

فان أوديب يمثل " قاتل أبيه ، وزوج أمه ، وهو الذي حل لغز العنقاء (السنفكس) فما الذي يمكن ان نتعلمه من هذا الثالوث الخفي من الأعمال المقدرة ؟ هناك اعتقاد شعبي قديم ، كان شائعاً في بلاد فارس خاصة ، يقول ان المجوسي الحكيم لا يولد الا من الخطيئة . وهذا معناه المباشر في نظرنا بالنسبة الى أوديب مفكك الالغاز والمتزوج امه ... يجب ان تكون القضية المرتكبة جريمة مهولة بحق الطبيعة وسفاح الأقارب في هذه الحالة ، والا كيف يمكن اجبار الطبيعة على ان تقدم اسرارها اذا لم تنتهك بهذه الوحشية ، بهذه المقاومة الخارقة والضارية ؟ شخصياً ، أنا أرى هذه الرؤية ماثلة بكل وضوح في الأفعال الثلاثة ، المشار اليها هنا والتي حددت مصير أوديب : هذا الرجل الذي حل لغز الطبيعة – الثنائية للعنقاء – يجب أيضاً ، كقاتل لابيه ، ومسافح لامه ، ان ينتهك النظام المقدس للطبيعة " [١٦] .

اما أسطورة برمثيوس فان انتهاك المقدس قائم على سرقة النار ، فان فكرة ان الانسان يملك زمام التحكم الكامل بالنار ، وأنه لا يتلقاها من السماء ، في صورة مقذوف ملتهب من البرق او كشعاع مسخن ، هذه الفكرة قد خطرت للمفكرين من البشر الأوائل كحالة انتهاك للمقدس ، كسرقة للطبيعة المقدسة . وهنا يرى نيتشه ان افضل وأرقى ما حققته الإنسانية من النعم هو ما حصلته من خلال هذا الانتهاك للمقدس وعلى الانسان ان يتحمل النتائج . هذا المد العاتي من العذاب والالام التي تعاقب بها الإلهة التي الحق بها الأذى أصحاب الطموحات النبيلة من البشر [١٧] .

وكذلك يتتبعها نيتشة في الاساطير السامية والارية، ويرى ان فكرة انتهاك المقدس تظهر في فكرة الخطيئة ، ويميز نيتشه بين الأسطورة السامية والآرية ، وهو أن ما يميز الأسطورة الارية عن السامية فكرة الخطيئة الفاعلة ، كونها فضيلة حقيقية لبروميثيوس ، اما الساميون فيفهمون الخطيئة ممثلة في امرأة ، ذلك لأن الانتهاك الازلي الأول من فعل الرجل ، في حين ان الخطيئة من فعل المرأة [١٨] .

أهمية الأسطورة :

تباينت أهمية الأسطورة واستخداماتها بتباين العصور والأفراد . فبالنسبة(لدور كهايم) حسب رايتر تكمن وظيفة الأسطورة في " لم شمل المجتمع وارساء دعائم بنيان قائم على القواعد والعادات " [١٩] اما استخدامها في الخيال الأدبي الحديث يمكن النظر اليه من جانبين أولها استخدامها من قبل الكتاب الذين تمثل بالنسبة لهم دعماً لطاقاتهم الأبداعية ، ثانياً النقاد الذين تُعد بالنسبة لهم مفتاحاً تفسيرياً [٢٠] .

كذلك تكمن أهمية الأسطورة في ان مضمونها قابل للتفسير من جديد ، واكتساب معنى جديد . وتكمن امكانية التجديد إما في تفسير بعض الجوانب المأساوية التي لم يعالجها الأقدمون ، أو في إعطاء معنى مختلف لأسطورة البطل ، فضلاً عن ان نظرية المحاكاة تفترض المضمون والملائمة مع القيم الحضارية الجديدة [٢١] لذا نجد بعض الادباء اعتمد الأسطورة بشكل كبير في كتاباته لما تحويه من امكانيات متجددة .

ويمكننا القول ان نيتشه يقترب في رؤيته في بعض جوانبها من رؤية (سوريل)(corel) حسب رايتر،فهو يرى ان وظيفة الأسطورة هي " لتوجيه الطاقات والالهام للقيام بفعل معين ، انها تقوم بذلك من خلال تجسيد رؤية حية عن حركة الحياة الأكثر تأثيراً نظراً لأنها ليست عقلانية ، وبالتالي فانها غير خاضعة للنقد والتفنيد من قبل المتأملين في الجامعة ، تتألف الأسطورة من صور مجازية تضاف اليها عناصر فاعلة من شأنها ان تترك بصماتها على البشر ، ليس بالطريقة التي يعمل بها العقل ، ولا عن طريق صقل الارادة ولا بأوامر الشخص المتفوق ، بل كغذاء للروح الذي يؤجج الحماس ويشحذ الهمم ويثير الشغب اذا استلزم الأمر ، ليس للأساطير واقع تاريخي ، انها تسيّر عواطفنا وتحرك إرادتنا وتضفي مغزى على كل ما نحن عليه ونقوم به ونضعه " [٢٢] .

اما نيتشه فالاسطورة لديه الى جانب كونها المرأة التي تعكس عافية الشعب ووعيه وطريقته في التعامل مع الحياة ،فأن نيتشة يوكد على الدور الوظيفي الذي تقوم به الاسطورة في المجتمع، وهنا يمكن أجمال وظائف الأسطورة لديه في عدة نقاط منها :

(١) يرى نيتشة ان الفن ليس مجرد محاكاة لحقيقة الطبيعة،ولكنه تابع لتلك الحقيقة ،متعايش معها بهدف التغلب عليها،وان الميثولوجيا التراجيدية تسهم اسهاما تاما في تحقيق الغاية الميتافيزيقية في التحول الفني . وهنا يتسأل نيتشة ،هل من واجبنا أن نتصور أن الاسطورة قد ارتنا طبيعة الحياة بغية تحويلها من أجلنا ؟ لكن اذا كانت لاتفعل هذا،فأين هي اذن المتعة في التفرج على الصور التي تعرض امامنا؟ كيف يمكن للبشاعة والتنافر،كمضمون للميثولوجيا ، ان يولدا المتعة الجمالية؟ وهنا يؤكد نيتشة ان وجود الكون والعالم يبدو مبررا فقط باعتبارهما ظاهرة جمالية .وبالتالي ، يجب على الميثولوجيا التراجيدية أن تكون مقنعة لنا بأنه حتى البشاعة والتنافر عبارة عن لعبة فنية [٢٣]ويبدو ان النظرالى البشاعة والتنافر كقيمة فنية اصبحت اكثر شيوعا في الوقت الحالي.

(٢) ان الأسطورة هي أداة الحكمة الديونسية ، وأن الفن الديونيسي يريدنا ان نعترف بان كل ما يحدث في الوجود يجب ان يكون معد لمواجهة مصير مأساوي ما ، وهو يجبرنا على ان نتأمل في الأحداث المرعبة في الوجود ، لكن دون ان نتجمد خوفاً ، وكذلك عندما نشاهد الصراعات والعذاب ، والتدمير الذي يلحق بالظاهرات كضرورة ، وبوجود حركة التوالد الأبدي لأشكال الوجود التي تتدافع لتشق طريقها الى النور ، الى الحياة كحض للخصوبة الغنية لعالم الارادة ، وما أن نتحد بالمتعة الهائلة في الكون ، حتى تبدأ وخزات الالم الجارف تخرق جلودنا ، وبرغم كل هذه الالام والمخاوف تحملنا السعادة على جناحيها ، ليس كأفراد ، بل كأصغر وحدات منفردة حية ، نجلس متحدين مع هذه المتعة المبدعة [٢٤] فالأسطورة تعينهم على الاستمرار بالعيش فبالرغم من الرعب والخوف من الوجود الا انهم انتصروا عليه من خلال الأساطير . فقد وفرت لهم مبرراً

للحياة والاستمرار بها ، والتي مكنتهم من تحمل كل الآمها .ويبدو ان ليفي شتراوس يتفق مع نيتشة في هذا الجانب فيرى ان الاساطير تزود الانسان بنماذج منطقية تكون قادرة على قهر التناقضات التي يواجهها في الواقع.(٢٥)ومن ثم هي تخلق جيلا يسعى نحو البطولة والشجاعة وكل اشكال القوى ،رافضا للضعف وقيمه. كأنهم يقولون نعم للحياة بكل مشاكلها و صعوباتها .

(٣) دون الأسطورة تفقد الثقافة برمتهاعافيتها وطاقاتها الابداعية الطبيعية، وهذا يؤدي للقول ان الفضاء المحاط بالاساطيروحده هو الذي يلعب دورا موحدا لحركه الثقافي بمجمله، وان الأسطورة وحدها هي المخلص لكل طاقات الخيال . و كذلك الأساطير هي صور عفاريت حراسة ، لا يغيبون عن المكان ولا تراهم العين ، عفاريت يتكفلون بتنمية العقل الناشئ ، ويقودون عملية تفسير الانسان لحياته وصراعاته ، فالدولة ذاتها ليس لها من القوانين الشفوية وما هو أقدر من اعراف المؤسسات الميثولوجيا [٢٦] .وبالتالي يمكن القول تمثل الاسطورة مؤشر حضاري يدلل في جوانب منه على مستوى الوعي الثقافي والحضاري للشعب .

(٤) ان الصور الأسطورية او الرمز الأسطوري وفقا لرؤية نيتشة أفضل من يعبر عن الحدس ، ويأخذ طريقة اليونانيين ، الذين يراهم لا يعبرون بالمفاهيم ، بل بصيغ الالهة اليونانية الواضحة والمقنعة [٢٧] .

(٥)تمثل الاسطورة لدى الشعب الاغريقي عامل انعاش ، وسط مأسي الحياة والحروب التي كانوا يخوضوها . فكانت تمدهم بدافعية كبيرة لقبول الام الحياة . فمن خلالها نستطيع ان نعرف كيف نظر الا غريق للوجود ، وكيف تعاملوا معه .

قتل الميثولوجيا :

بحث نيتشه في عصر المأساة ، وتحرى عن الأسباب التي تقف وراء موت الميثولوجيا ، وقد أرجعها الى عدد من النقاط منها :

(١) سقــراط :

(أ) ازاحة ديونيسيوس :

ان الميثولوجيا كما وصفها نيتشه ، " أداة الحكمة الديونسيوسية " ، وكانت المعركة موجهة ضد العناصر الديونسيوسية ، فقد ظهر سقراط كخصم لديونيسيوس ،فكان ديونسيوس يطارد خارج المسرح بفضل قوة الروح الشيطانية الحارسة (أي سقراط) بلسان يوربيدوس ، وكان يوربيدوس في معنى من المعاني يمثل قناع لسقراط ، وهنا يظهر تناقض جديد قطباه ديونيسيوس وسقراط [٢٨] اما الطريقة التي طرد من خلالها ديونيسيوس ،فهو من خلال سيطرة العناصر الابولونية .

(ب) سيطرة ابولو :

هناك ثلاث عبارات لسقراط ساهمت بموت الميثولوجيا ،اي بسيادة العنصر الابولوني على الديونيسيوسية ،هي : " الفضيلة هي المعرفة، كل الخطاة يأتون من عوالم الجهل ، الانسان الفاضل شخص سعيد " [٢٩] أو كما صاغها نيتشه على شكل معادلة وهي " عقل = فضيلة = سعادة " ، والتي تعني يجب أن نقيم ضد الشهوات المظلمة نوراً ً بوضوح نهار العقل ، ويرى ان كل تنازل لصالح الغرائز ، لصالح اللاشعور ، يقود الى الهاوية [٣٠] .

كذلك بجعله من العقل أداة مستبدة ، ومهاجمته الفكر التأملي للأغريق وهنا يقدمه نيتشه كآلة للتفكك الإغريقي ونموذج للانحطاط .ولقد اتخذ من العقل سلطة ضد الغرائز ، فالعقل مع سقراط أصبح سلطة خطيرة تنخر وتخرب الحياة من الداخل [٣١] فكل شيء يخضع للعقل ولم يستثنى من ذلك التقييم الجانب الجمالي . ومن هنا عملت الفلسفة السقراطية على الحد من الاسطورة ، وذلك من خلال تأكيد سيادة الحقيقة التي نصلها عن طريق سلم المنطق ضد سيادة الخيال .

ولتضخم ملكة الجدل لدى سقراط [٣٢] ، اصبح البطل جدليا ،تحت تأثيرسقراط. قد ساهم ذلك مساهمة فعالة بموت الأسطورة، هذه الملكة التي اعتمدها تلاميذه بشكل كبير ظهرت بوضوح عند افلاطون ويوربيدوس.

وبالتالي سيطرة المنطق ساهمت بالقضاء على الاسطورة، بالرغم من ان الاسطورة لاتخلو من المنطق ، ولكن لها منطقها الخاص ،فهي تتضمن أحداثا وأفعالا متباينة الذي يتحكم بمسيرتها .

ويبدو ان نزعة التفاؤل التي غزت الروح الإغريقية ، ساهمت في قتل الميثولوجيا ، فهناك توجه متفائل مناهض لديويسيوس ، حتى قبل أيام سقراط ، وان سقراط هو المتحدث الرئيسي بأسمه [٣٣] .الذي اعتمد على الاعتقاد بأمكانية الوصول الى كنه الاشياء . ومن هنا بدأت تتحول النزعة التشاؤمية ، الى النزعة التفاؤلية المنطقية السقراطية .

(٢) يوربيدوس :

يرى نيتشه ان يوربيدوس هو احد المساهمين بقتل الميثولوجيا فيخاطبه بقوله : " وأنت يا يوربيدوس المنتهك للمقدسات ، ما الذي كنت تنوي فعله حين حاولت استنهاض تلك الميثولوجيا من فراش الموت ، وتسخيرها لخدمة أهداف جديدة ؟ الم تمت الميثولوجيا على يديك القاسيتين ؟ وعند ذلك كنت بحاجة الى التزوير ، الى ميثولوجيا مقنعة لا تستطيع ، مثل عفريت هرقل الا ان تزين نفسها لتظهر في حلتها القديمة " [٣٤] .

لقد سعى يوربيدوس الى استئصال العنصر الديونسيوسي القوي والقديم من التراجيديا ، وإعادة بناءها على أسس فنية وأخلاقية وفلسفية غير ديونيسية [٣٥] وكان ذلك من خلال سعيه لاثبات ان العالم والشاعر " اللاعقلاني " على طرفي نقيض ، وكانت مقولته الجمالية هي " ان كل شيء يجب ان يكون

عقلانياً قبل ان يكون جميلاً " وهي تناظر مقولة سقراط " ان الاشياء يجب ان تكون عاقلة حتى تكون جميلة " [٣٦] وكذلك كان لاعتماده على الجدل بشكل كبير في اعماله متأثرا بسقراط . فكانت الروح السقراطية واضحة في اعماله .

(٣)موسيقى شعراء الديثرامب الجدد :

قبل الحديث عن موسيقى شعراء الديثرامب الجدد ، لا بد من الوقوف عند علاقة الموسيقى بالأسطورة . اشار نيتشه الى امكانية الموسيقى في توليد عالم الاساطير .(٣٧)كذلك بوجود صلة وثيقة جداً بين الموسيقى والأسطورة ، فكلاهما يعبران بدقة عن إمكانيات أي مجتمع معين ، وأن انحدار وتدهور أحدهما يرتبط باضمحلال الآخر ، وبالتالي قد يشير الى اضعاف الامكانات الديونيسية [٣٨] فالموسيقى والأسطورة التراجيدية تعبيران متساويا القدر عن الطاقة الديونيسية لأي شعب ، وهما لا ينفصلان عن بعضهما ، وكل منهما نشأ في ميدان فني يتجاوز العامل الأبولي ، كما أن كلاً منهما يغير في شكل المكان ، جاعلاً التنافر والصورة الرهيبة للعالم تتلاشيان في عالم جمالي ، فكلاهما يعمل من خلال وخز مثير للشعور مبعثه القوة الهائلة لفنهم الساحر ، وهنا يثبت العنصر الديونسي امام العنصر الأبولي [٣٩] .

ويرى نيتشه ان الموسيقى في ذاتها ولذاتها ، ليست غنية بالدلالة بالنسبة لكياننا الداخلي ، مهما يكن التأثير الذي تخلقه فينا ، والذي يجعلنا نعتبرها لغة الاحساس المباشر . ولكنها في الأصل ليست في ذاتها عميقة أو ذات دلالة أو تتحدث عن ال " ارادة " عن " الشيء في ذاته " [٤٠] . وانما تتحدث عن العموميات ، وقد انهكت اغاني الديثرامب الجديدة قدسية الموسيقى ، وحطت من قدرتها بجعلها محاكاة للظاهرات المختلفة – كالحرب ، على سبيل المثل ، أو كالعاصفة في اعالي البحار ، وبذلك قد تكون قد حرمتها من قدرتها على توليد الأسطورة ، لأنها في الأصل ترغب في ان ينظر اليها باعتبارها مثالاً للعام وللحقيقة التي تقابل اللانهاية . فالموسيقى الديونسيوسية تعكس الارادة العامة ، وكل حدث مادي ينعكس على مرأتها يجري تضخيمه في الحال ليتسنى لحواسنا ان تستوعبه كجانب واضح من الحقيقة الخالدة . فقد أصبحت الموسيقى مع شعراء الديثرامب الجدد ، نسخة مبتذلة يؤديها المؤدون في الديثرامب الجدد ، فقد غربت الموسيقى عن نفسها وأصبحت خادمة للظاهرة [٤١]

ويبدو ان نيتشة كان يأمل احياء المأساة، من خلال الموسيقى الفاغنرية ، ويظهر ذلك في الفقرات الاخيرة من كتاب "مولد المأساة" .وقد عدل عن موقفه هذا في أعماله الاخيرة "قضية فاغنر"و"نيتشة ضد فاغنر"وكان سبب القطيعة بينهما عدول فاغنر عن مشروعهما وعودته تحت كنف الكنيسة.

استخدامه للاسطورة

تعتبر الاسطورة احد الوسائل التي لجأ اليها نيتشة للتعبير عن افكاره فأستعار منها على سبيل المثال رمزين هما الالهين ديونيسيوس وابولو ، وصاغ منظوره لحركة الفن والوجود من خلالهما . وكذلك أخذه على سبيل المثال لا الحصر وصف الحكمة بانها أمرأة من الميثولوجية الاغريقية ، فيقول :- "مستهتر، متهكم ، عنيف هكذا تريد الحكمة لواحدنا ان يكون ، انها أمرأة ، وهي لن تحب ابدأ الا مقاتلا "[٤٢] ونجد ذلك في اسطورة الاوذيسه ،ان الحكمة امرأءة، وهي "مينرفا ربة الحكمة " [٤٣] .

وكما بعث كتاب المسرح الاساطير ،وكان للاساطير اليونانية مكانة خاصة ، لاسيما أسطورة اوديب وانتيجونا من ناحية ، واورست والكترا من ناحية اخرى.ويرجع ذلك الى ان هذه الاساطير خصبة ومؤثرة ، وكذلك "العود الابدي" التي تحدث عنها نيتشة.[٤٤] والتي ترجع اصولها قبل الفلسفة اليونانية الى الديانات القديمة .

واذا صح القول ،أن فكرة الانسان المتميز ، ذي القدرات المتفوقة ،التي ظهرت بشكل واضح في الاساطير،والتي تصور البطل او الانسان المتميز، في تمسكه بمبدئه واصراره على تنفيذ ارادته ،وتحمله لكل مأسي الوجود ليحقق ارادته ،كانت هذه الفكرة تشكل جزء اساسي من ذهنية الاغريقي . نجدها تقترب من فكرة نيتشة عن الانسان المتفوق اوالسوبرمان .

هوامش البحث

(1) The New Encyclopaedia Britannica, Vol.12, U.S.A, 1974, P.793.
(2) Ibid, P.793.

(3) Webster, amerriam : Webster's Third New International Dictionary , Vol. II , G. & C. MERRIAM Co., U.S.A, 1971 , P.558 .

(٤) نيتشه ، فردريك : مولد المأساة من روح الموسيقى ، ط١ ، ت. شاهر حسن عبيد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ٢٠٠٨ ص١٤٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص١٩٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص٢٤٧ .

(*)اختلفت الترجمات فبعضهم يترجمها الى (السكر)، كما في كتاب اميرة حلمي مطر:فلسفة الجمال من افلاطون الى سارتر،دارالثقافة للطباعة والنشر ،القاهرة ،١٩٧٤،ص ١٩٥.واخر يترجمها (التسمم) وهي ترجمة شاهر حسن عبيد لكتاب مولد المأساة من روح الموسيقى،ص٨٠ . وربما تكون ترجمة اميرة حلمي مطر اقرب الى المعنى لارتباط الكلمة بديونيسيوس وهو اله الخمر .

(٧) مطر ، أميرة حلمي : فلسفة الجمال (اعلامها ومذاهبها) ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص١٥٧ .

(٨) فنك ، اويغن : فلسفة نيتشه ، ت. الياس بديوي ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٤ ، ص٢٢ .

(٩) نيتشه ، فردريك : أفول الأصنام ، ت . حسان بورقية ومحمد الناجي ، افريقيا الشرق ، ردمك ، ١٩٩٦ ، ص٨٥ .

(١٠)نيتشه ، مولد المأساة ، ص٨٠ – ٨٤ .

11) Diethe, Carol: Historical Dictionary of Nietzscheanism, Scarecrow Press, Inc., U.S.A, 2007, P. 64.

(١٢)الخوري ، لطفي : معجم الأساطير ، ج٢ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٢٩ .

(١٣) نيتشه ، مولد المأساة ، ص١٤٧.

14) Nietzsche, Friedrich: Nietzsche Contra Wagner, Trans. by Anthony M. Ludovici, The Complete work of Friedrich Nietzsche, vol.8, New York, The Macmillan Company, 1911, p.65.

(١٥)المصدر السابق ، ص ١٤٠

(١٦)المصدر السابق ، ص١٣٩ – ١٤٠ .

(١٧)نيتشه ، مولد المأساة ، ص ١٤٣ .

(١٨)المصدر السابق ، ص ١٤٤.

(١٩)رايتر ، وليم : الأسطورة والأدب ، ت. جبار سعدون السعدون ، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص٢٥ .

(٢٠)المصدر السابق ، ص١١ .

(٢١)أسعد ، سامية : الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر ، مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام في الكويت ، ١٩٨٥ ، م / ٦ ، ع / ٣ ، ص١١٥ .

(٢٢)رايتر : الأسطورة والأدب ، ص٢٥ .

(٢٣)نيتشه ، مولد المأساة ، ص١٩٧ .

(٢٤)المصدر السابق ، ص٢٥٥-٢٥٧ .

(٢٥)شتراوس، كلود ليفي : الاسطورة والمعنى ،ت. شاكر عبد الحميد ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، ١٩٨٦ ،ص٦.

(٢٦)المصدر السابق ، ص٢٤٧ – ٢٤٨ .

(٢٧)فنك ، المصدر السابق ، ص٢٢ .

(٢٨)نيتشه ، مولد المأساة ، ص١٦٢ .

(٢٩)المصدر السابق ، ص١٧٨ .

(٣٠)نيتشه : أفول الأصنام ، ص٢٣ .

(٣١)نيتشه ، فردريك : هذا هو الانسان ، ت. علي مصباح ، منشورات الجمل ، ٢٠٠٣ ، ص٨١.

(٣٢)نيتشه : أفول الأصنام ، ص٢٠ .

(٣٣)نيتشه :مولد المأساة ، ص١٧٩ .

(٣٤)المصدر السابق ، ص١٥٠ .

(٣٥)المصدر السابق ، ص١٦١ .

(٣٦)المصدر السابق ، ص١٦٨ .

(٣٧)المصدر السابق ، ص٢٦٠ .

(٣٨)نيتشه ، مولد المأساة ، ص٢٥٩ .

(٣٩)المصدر السابق ، ص٢٦٠ .

(٤٠)نيتشه ، فردريك : أنساني مفرط في انسانيته ، ج١ ، ت. محمد الناجي ، افريقيا الشرق ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص١١٧ .

(٤١)نيتشه ، مولد المأساة ، ص٢٠٢ .

(٤٢) نيتشه ، فردريك :اصل الاخلاق وفصلها ،ت. حسن قبيسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع ، لبنان ، ١٩٨١ ،ص٩٥ .وانظر ايضا

Nietzsche, Friedrich; The Genealogy of Morals, Trans. By Horace B. Samuel, M.A., the Modern Library, New York, U.S.A., p.94.

(٤٣)هوميروس: الاوذيسه ،ت.دريني خشبة ،دار الشؤون الثقافية ،بغداد،١٩٨٧، ص ٥.

(٤٤) أسعد ، سامية :المصدر السابق ،ص١١٦ .

Nietzsche and the Greek Mythology

Abstract

The research aims at giving a brief summary of Nietzsche's attitude towards myth. Nietzsche is one of the philosophers who paid great attention to myth because of its potentiality that tempted him to use it as a means to reveal his intellectual attitudes.

The research studies the significance of myth, which can be seen as a mirror reflecting the wellness of people. It also studies the function of myth and Socrates and Euripides's role in its decadence. He has, for example, acquired two names from the Greek mythology; Dionysus and Apollo. Through these two figures, he formed his perspective of art and life.